

رحل الأستاذ الكبير  
كلمة رثاء للشاعر الأستاذ يوسف حبوب  
(شاعر المقاومة اللبنانية الحقّة) الذي توفي في ٢٠٠٢/٣/١٩  
بقلم الكولونيل شربل بركات  
٢٠٠٢/٣/٢٣

ذهب يوسف...

رحل الأستاذ الكبير...

نزل الفراغ على بيوت الشعر

وقفت القصائد حائرة ...

و.. "فتر الوحي"...

أين انت يا موطني...

أين منك العطر...

أين ذاك الزهر...

والنور المضيء...

أين الفوح والبوح...

أين النطق والشعر...

أين الفخر والعنفوان...

هل سقط الوطن وسقط البطل

وسقط الفكر وسقط الحلم!..

خبريني يا ابنت بلدي

يا صاحبة يوسف الحبيب

كيف ذهب...

كيف غاب...

هل عظم الهم حتى غلبه

أو أن الوطن المجروح قد عمق جرحه فيه

أيها الصديق المسافر

هل أن ثقل الحقيقة قد عجل الرحيل

أم أن ظلم القدر قد سرع التسليم...

يا صاحب الرسالة الطاهرة

يا حامل القلم المنير

يا زنبقة بين الأشواك لم تنحن

يا قلبا كبيرا بقدر لبنان

يا عاشق الوطن الضائع

هل صعقت الحاضر المرير

أم انطفأ في قلبك الرجاء...

هل عيرك الأصغر

أم شمت فيك الأعداء...

لم تكن مرة ممن يقبلون البنادق كلما تغيرت الريح

ولا ممن يقبلون الإهانة أو الإستضعاف...

...

من سوف ينشد الوطن الحبيب غدا عندما تشرق شمس جديدة  
من سوف يرفع الصوت الصداح على المناير...

من سوف يحيي "شهيد العلى" بعد أن ينغسل لبنان من عاره  
من سوف يضع الحد للشرق والغرب ويجرؤ على القول:  
"لا الغرب أرضي ولا الصحراء باديتي..."  
ومن سيستهزئ بالبترويل "ما أغباه والذهب"...

"بيدر انت وغلال وعصافير شي يغط شي ينقود هنا شي يطير"  
نعم قلتها لمن استحقها يومها وأنت تستحق أكثر فأنت أيضا بيدر

في الفكر كنت البيدر

في الحب الكبير

في الوطنية الحققة

في العنفوان...

يا حاملا هموم الوطن لقد ثقل الهمم بالتأكيد حتى وقعت ...  
هل بعدك من "يسائل الأرز كي يعز البقاء كم سقته محاجر ودماء"  
وهل رحلت لأن البقاء لم يعد عزيزا ...

"بحر دمع وأبحر من دماء الف عام ولم يشح العطاء"

وعطاؤك أيضا لم يشح

ولن يشح عطاء الأمة التي فيها أمثالك

ولو قبلت الرضوخ مرة...

وعين إبل التي أحببت حتى الثمالة

هل شيعتك صباياها بالورود التي كنت تنشد  
هل ودعك شبابها بالخوربة والأهازيج  
وهل تجراً كهولها على قول الحق فيك  
أم أنها تعبت من الجهاد فرقدت تنتظر الصباح  
ولم تدرك بعد الخسارة...

يا صديقي العزيز...  
يا أعز من عرفت...  
يا أصدق من أحببت  
يا أمينا في كل ما عملت  
ومحبا لكل من عاشرت

أين الكلمة الحلوة  
أين النكتة الخفيفة الظل  
أين الأنشودة والمرح...

إفتقدتك منذ أن فرق بيننا القدر الغادر  
ولكنني كنت أطمح أن الاقايك  
أن تعود الأيام الحلوة  
أن تجمعا الرياح التي تفرق  
ولو لسهرة ولو لمرة...

وددت لو نسير في أمسية كما في الأمس

نساھر القمر على طريق المحفرة  
نتسامر مع النجوم  
ونحكي حكايات العنقوان  
نحكي عن الوطن العائد من رماد طائر الفينيق

نحكي عن البطولة  
عن المستقبل الزاهر  
نرسم المشاريع لبلدة عشقناها  
نوزع الإلفة بين بنينا  
ونحث على العمل المنتج...

لكن شفيحك مار يوسف أحبك أكثر منا  
وأحب أن يريحك مما كنت فيه  
فاستدعائك في يوم العيد...

هل كانت الشمس في وداعك  
أم قد بكتك السماء وظللتك الغيوم...

وأنت يا رفيقة عمره  
قد تحملت الكثير  
وبكيتته اليوم أكثر...

لقد كنت خير الرفيق وخير الشريك  
وخسارتك فيه عظيمة  
لكن ذكراه لن تزول

ففي كل قصيدة كتب صورة من حياته  
وفي كل زاوية من البيت ترك عطرا  
ولك في كل قلب مكان فقد كان يوسف القلب الكبير

أذكره دائما  
كلما لاح خيال  
كلما أطل الفجر  
كلما زهر البنفسج أو فاح العطر

وأذكره إذا ما خفق علم أو نطق شاعر  
أذكره كلما غنى وتر أو صدح طائر...

فلن ينسى يوسف وهذا هو العزاء...